

دلائل الإعجاز

من أنها تُبطلُ عملَها حتى ترى الذَّحويين لا يزيدون في أكثرِ كلامهم على أنها كافَّة . ومكانُها هاهنا يُزيلُ هذا الظنَّ - ويبطله . وذلك أنك ترى أنك لو قلت : ما جاءني زيدٌ وإنَّ عمراً جاءني لم يُعقلُ منه أنك أردتَ أن الجائي عمرٌو لا زيدٌ بل يكونُ دخولُ إنَّ كالشياءِ الذي لا يحتاجُ إليه ووجدتَ المعنى يندبو عنه .

ثم اعلمُ أنك إذا استقرتَ وجدتها أقوى ما تكونُ وأعلقَ ما ترى بالقلبِ إذا كان لا يُرادُ بالكلامِ بعدها نفسُ معناه ولكنَّ التَّعريضَ بأمرٍ هو مقتضاه نحوُ أنَّا نعلمُ أنَّ ليس الغرضُ من قوله تعالى : (إِنْ زُمَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) أن يعلمَ السَّامِعُونَ ظاهرَ معناه ولكن أن يُذمَّ الكفارُ وأنَّ يُقالَ : إِنْهُمْ مِنْ فِرْطِ الْعِنَادِ . ومن غَلَبَةِ الهوى عليهم في حكمِ مَنْ ليس بذي عقلٍ . وإِنْكُمْ إِنْ طَمَعْتُمْ مِنْهُمْ فِي أَنْ يَنْظُرُوا وَيَتَذَكَّرُوا كَنْتُمْ كَمَنْ طَمَعِ فِي ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أُولِي الْأَلْبَابِ . وكذلك قوله : (إِنْ زُمَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا) وقوله عزَّ اسمه : (إِنْ زُمَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ) . المعنى على أنَّ مَنْ لم تكن له هذه الخَشيَّةُ فهو كأنه ليس له أذنٌ تسمعُ وقلبٌ يعقلُ . فالإِنْذارُ معه كلاًَّ إِنْذارُ . ومثالُ ذلك من الشعرِ قوله - مجزوء الرمل - : .

(أْنَا لَمْ أُرْزُقْ مَحْبَسَتَهَا ... إِنْ زُمَّمَا لِلْعَبْدِ مَا رُزِقَا) .

الغرضُ أن يُفهمَكَ من طريقِ التَّعريضِ أنه قد صارَ يندُصحُ نفسه ويعلمُ أنه يندُبُغي له أن يقطعَ الطَّمَعَ من وصلها ويَيسرَ من أن يكونَ منها إسعافُ . ومن ذلك قوله - البسيط - : .

(وَإِنْ زُمَّمَا يَعْذِرُ الْعُشَّاقُ مَنْ عَشِقَا ...)